عظة أحد الآباء

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

(هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك والذي أرسلته يسوع المسيح)

هكذا يقول الرب يسوع في الإنجيل الذي سمعناه اليوم، وهو الأحد الذي يلي الصعود الإلهي، والذي يسبق أحد العنصرة، ونقيم فيه تذكاراً للآباء القديسين. ويضيف الرب يسوع قائلاً:(لقد أتممت العمل الذي أعطيتني إياه هو منك، هم قبلوا وعلموا حقاً أني منك خرجت وآمنوا أنك أرسلتني).

فكأنّ الآباء القديسين قد رتبوا أن يتلى هذا المقطع الإنجيلي في كل سنة في نهاية الفترة الفصحية، وهم يذكروننا بقول الرب(أن الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت وحدك الإله الحقيقي والذي أرسلته يسوع المسيح)، يذكروننا في هذه الآية وفي نهاية هذه الدورة الفصحية، بأن نعرف الإله الحقيقي. أن نعرف الرب يسوع الذي أتى في يوم الشعانين إلى المدينة المقدسة أورشليم، لكي يبدأ مسيرة آلامه. أتى إليها لكي يحتمل مسيرة الصلب والموت طوعاً. يذكروننا بأن نعرف الإله الحقيقي، ذاك الذي في يوم الخميس العظيم يُرفع على الصليب ويبذل دمه كفّارة عن خطايانا، ذاك الذي قال: اغفر لهم ياأبتاه لأنهم لايدرون مايفعلون. أن نعرف هذا الإله الذي بذل نفسه من أجلنا، الذي ارتضى طوعاً أن يقبل الآلام وبذل نفسه على الصليب حباً بنا كي يخلصنا من الخطيئة، ويعيدنا إلى الأحضان الأبوية كما أراد الله لنا.

أن نعرف الإله الحقيقي الذي عندما صادفه الموت على الصليب اندحر، هو الذي أمات الموت ولم يتسلط عليه الموت، هو الذي قام وأظهر قيامته في اليوم الثالث منتصراً، قائماً من بين الأموات، دائساً الموت، محطماً أبواب الجحيم.

أن نعرف هذا الإله الحقيقي الذي غلب الموت والذي قام من بين الأموات، ونتذكر أن قيامته هي عربون قيامة كل واحد منا.

أن نتذكر الرب يسوع، أن نعرف حياته أن نختبر ماعاشه وأن نعرف هذا السيد ليس بالعقل وبالذهن وحسب، بل أن نعرفه في كياننا، في إحساسنا. هذا مانصادفه ياأحباء في كل يوم من حياة كل واحد منّا، إذ يمر في درب آلام قد يشاؤه وقد لا يشاؤه، يقبله أحياناً وأحياناً لايقبله، بشكر أحياناً وأحياناً بتذمر.

أن نعرف الإله الحقيقي وهو الذي عبر مسيرة الآلام وقام من بين الأموات ليقيمنا معه فنعرفه في حياتنا. فعندما نصادف آلاماً وأوجاعاً وضيقات ومصاعب، نعرف ونتذكر الإله الحقيقي ونتشبه به ونتمثل به. فلا نخاف ولا نهاب، بل نسير ونتابع الطريق لأننا نعرف ذاك الذي أتى إلى الآلام طوعاً، والذي كانت نهايته أنّه غلب الموت وصعد إلى السماوات وأرسل الروح القدس على تلاميذه لكي يرشدهم إلى الحق.

من الجميل ياأحباء أن نتأمل في هذه الآية أن الرب يسوع أتى إلى الأرض لكي، كما يقول هو "قد أعلنت اسمك للناس. نعم، لقد تممت العمل الذي علي أن أتمّمه، والآن قد علموا، الآن قد حفظوا ما قد أعطيته أنا لهم والذي أعطيته لهم هو منك".

نعم أيها الأحباء، أن نعرف هذا الإله الحقيقي وحده في حياتنا، أن نجعل منه هو السيد وحده في حياتنا، وأن نحيا هذه الحياة ونختبر هذه الخبرة الإلهية في حياتنا، فآنذاك لا نهاب أية مصيبة وأية صعوبة وأي موت وأي مرض. نحتمل كل هذا بشكر ناظرين إلى الذي رفع على عود والذي قام من بين الأموات.

لهذا فقد حدد آباؤنا القديسون أن يقام هذا التذكار الشريف للآباء القديسين الذين عاشوا هذه الحقيقة والذين اختبروا قيامة السيد، وعلينا نحن أن نختبر كما اختبر توما أيضاًعندما صرخ وقال(ربي وإلهي)، هذا هو الإله الحقيقي. أن نختبر في نهاية هذه الفترة الفصحية ماالختبرته النسوة الحاملات الطيب، فقد أتينّ إلى القبر فوجدنَ القبرفارغاً وقال لهن الملاك: لقد قام الرب يسوع. أن نختبر هذه الخبرة ونصرخ مع الملاك ونتحقق كما تحققت النسوة من أنّ الرب قد قام وأن القبر فارغ.

أن نعرف الإله الحقيقي الذي عرفه المخلع إذ قال له: قم احمل سريرك وامش. فقام ومشى. وأن نختبر ما اختبره الأعمى في الرب يسوع الذي شفاه. آنذاك، يا أحباء، ندرك معنى قيامة الرب يسوع.

لقد ودّعنا الفصح المجيد وعيّدنا للصعود الإلهي، وها نحن نقدم إلى يوم حلول الروح القدس. إنّ كل هذا التدبير، وكل هذه الأحداث الخلاصية من أجل أن نحفظ ماعلّمنا وما سلّمنا إياه الرب يسوع، وآنذاك يكتمل فرحه فينا فنكون أبناء القيامة بالفعل ونعرف الإله الحقيقي بالفعل، بمعنى ألا نؤمن به عقلياً وفلسفياً فحسب، بل أن نعرفه باختبار الحياة معه كما اختبر توما والأعمى و المخلع، وأن نختبر القيامة ونحيا للرب يسوع بالفعل، فيقوم الرب يسوع فينا ونكون ممجدين معه بنور قيامته. هو المبارك وهو الممجد إلى الأبد. آمين.